التاريخ والفلاحة

ليس فى الوسع ان نضىء الظلمات التى اسدلت ستارها على تاريخ النبات والفلاحة بأكثر مما جاءت به الكتب المقدسة والآثار الصامتة فيها ماقل ودل فى هذا الصدد

لم يك تاريخ مصر على الاخص الا شعاعا ساطعا كشف عن السر فى ذاك الرخاء الذى سبب الى بنى اسرائيل هجرة الاوطان الى مصر فى عهد الملكيين (منفط الاول وابنه سيتى الثانى) رغما عما اشتهر به هذان الملكان من اتباع الضيافة باللمن والاذى ولقد جاء فى القرآن العزيز « وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصراً فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله »

وليس فيما بين أيدينا من الوسائل العلمية لمكافحة حشرة الغلال فى المخازن ماهو انجع مما أشار به يوسف الصديق عليه السلام على عزيز مصر الريان بن الوليد (ايابى عكنن من ملوك العائلة السادسة عشر) حين ولى عليه السلام من قبل العزيز على خزائن الارض فاحتاط لسنى الجدب السبع حيث خزن غلته فى سنى الرخاء السبع التى سبقت بدون عملية الدراس يعد الحصيد ولقد جاء فى القرآن الكريم « يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات

خضر وأخر يابسات لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا مما تأكلون »

هـذا ماعنا لنا عن الزراعة ذكرناه كتاريخ ديني يثبت انها كانت دائما من المعارف الضرورية لفلاح الامم وتسويق بعضها الى المهجرة عن الاوطان فى سبيل الاخذ بفوائدها كما انها كانت موضع العناية من الانبياء والملوك وللناس فيهم أسوة حسنة .

لقد سن فيهـا السلف سننا متبعة الآن فى اوربا والفوا فيها اشعاراً صار ماجاءت ببقائه منها يد الفناء نواة للعلم النباتى .

جاء فى دائرة المعارف البريطانية ان مصر كانت تصـدر سنويا الى روما مالا يقل عن عشرين مليون بوشـل من الغلال وليس من الغريب ان يبلغ الى مدينة واحدة هـذا المقدار من بلاد كانت الفلاحة فيها تعتبر من الشعائر الدينية التى تشعبت طقوسها حتى وسعت كل دقيق من البحث والعمل كما تدل على ذلك آثارهم وصورهم المنقوشة على القبور بمنف وطيبة

ومن تلك الآثار ماتمثل حقلا بالابنية اللازمة فـكانت عبارة عن قصور جميلة بها الحدائق الغناء والبحيرات المعدة لتربية الاحياء المائية من اسماك عادية وانقليس (ثعبان البحر) وبيوت مفروشات للماشية والابل والعربات وكان مستودع المحاصيل عبارة عن قبو (لتعديل درجة الحرارة شتاء اوصيفا) له باب بالاعلى للايداع وباب فى الاسفل للتفريغ . وفي صورة اخرى مثلت عملية البذار تمثيـلا ينطق بان الخلف لم يدرك بعد ما كان عليه السلف من سجايا العرفان والاتقان . حيث يشاهد فى تلك

الصورة محراث مزدوج تقطره الثيران يليه رجل يبذر الحب بآلة كالآنية يتبعه محراث آخر لتنظيم توزيع البذور فى التربة

وقد كانت هذه الطريقة متبعة بتعديل قليل فى ارض كنعان ويظن علماء التاريخ انها اقتباس نقله بنو اسرائيل عن الفراعنة بعد إذ انقذهم سيدنا موسى عليه السلام وهاجر بهم من مصر فانهم تعلموا كثيرا من أساليب الزراعة عن المصريين فاستطاعوا ان يستغلوا برية سينا استغلالا مكنهم من اختراقها بجموعهم وجحافلهم البالغ قدرها (نقلا عن دائرة المعارف البريطانية) ستمائة الف رجل عدا النساء والاطفال ولقد فاضت الميرة حتى اوصلتهم عبر نهر الاردن وليس بعد ذلك آية اعجاز فى تاريخ الاقبال للمحاصيل الزراعية .

اعتز القدماء كثيرا بالاسمدة ايضا ولم يك من المحتمل قط ان العلماء المؤخرين اتوا بالجديد فى هـذا الباب خصوصا فيما يختص بالاسمدة العضوية المعروف عنها خطأ انها حديثة العهد بالاستعمال مثل فتات العظام ومسحوق اللحم فقد نبغ الفراعنة فى علمى الفلاحة والهيجين (علم الصحة) من طريق العبادات وتعميق طقوسها فحرموا دينيا القاء ماينفق من الحيوانات فى النيل بل حتم كهنتهم دفن الجثث فى جوف الحقول فأصابوا بذلك هدفين بسهم واحد إذ إتقوا الامراض العضالة لعدم تلويث الماء بالرمم واكتسبوا بدفنها وانحلالها تدريجيا فى حقولهم سمادا عديم المثال فى قيمته السمادية .

هـذه لمحة من تاريخنا القديم تحرك منا الشجن وتقوى النفس وتثبت القدم ؟

علي شمس الدين